﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [القصص: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـفـعـلُ بعد الدُّعاءِ، والتَّوكّلُ بعد الالتجاءِ

لمّا أخبرتِ الآيةُ السّابقة عن دعاءِ موسى ﷺ بطلب النَّجاةِ منَ القوم الظّالمين؛ ناسب أن يذكر فعلَه بعد الدُّعاءِ، وتوكُّلَه بعدَ الالتجاء، فأراد الحقُّ سبحانه أن يُعلِم باستجابته منه، مُخبرًا بجهة قَصْده زيادةً في الإفادة، فقال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾، أي: فاستجاب اللّهُ دعاءَه، فنجّاه منهم، ووجَّهَهُ إلى مدينَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَوَجَّهَ﴾: أصلُ (وجه) يَدُلُّ عَلَى مُقابَلَةٍ لِشَيْءٍ؛ والوَجْهُ مُسْتَقْبِلُ لِكُلِّ شَيْءٍ؛ وضَلَّ وِجْهَةَ أمرِه، أي: قَصْدَه، وخَلَّ عن جِهَتِه: يريد جِهَةَ الطّريق، وتَوَجَّهَ إليه: ذهب، والجِهَةُ والوِجهَةُ جميعًا: الموضعُ الذي تتوجَّه إليه وتقصِدُه،[2]، والتَّوجُّه: الإقبالُ على الشَّيءِ، يُقال: توجّه وِجهةَ تلقاء، أي: ناحيةَ وجْهِهِ[3]. والمعنى هُنا: أقبل بوجهه قاصدًا تِلْقاءَ[4] مَدْين.

2) ﴿تِلۡقَآءَ﴾: أصلُ (لقي) يدُلُّ على توافي شَيئينِ[5]، أي: تُجاهَ ونَحوَ، والتِّلْقاءُ: جِهةُ اللِّقاءِ والمُقابَلة[6]، والتِّلقاءُ مصدرٌ على وزن (التِّفعال) بكسر التّاء، وليس له نظيرٌ في كسر التّاء إلّا تِمثال،

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 263.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لِسان العَرَب: (وجه).
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 295.
(4) النَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 2/ 635، والخطيب الشِّربيني، السّراج المنير: 3/ 138.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لقى).
(6) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 331، والسّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 166.

وتَلَقّاه والتَقاه والتَقَيْنا وتَلاقَيْنا والتَقَوْا وتَلاقَوْا بمعنًى، وجلس تِلقاء، أي: حِذاءَهُ. يُقال: داره تِلْقاء دارِ فلانٍ، إذا كانت مُحاذيَتَها[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحقيقُ الأمنِ حِظْوةٌ مستطابةٌ ومَطلبٌ مستجادٌ

تُخبر الآيةُ عن فعل موسى ﷺ بعد التجائه إلى اللّه تعالى، في توجُّهِه إلى مَدْين، مُقْبِلًا بوجهه إليها؛ لِما فيها منَ الأمن وخروجها من سلطان فرعونَ، تَضرَّع إلى اللّه أن يهديَه طريقَ الخير والنّجاة، قائِلًا: عسى ربّي أن يُرشدَني إلى خيرِ طريقٍ، فلا أَضِلُّ عنها[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها:

تقديرُ المحذوفِ يُقصد به تقريبُ المَطويّ لا تعيينُه

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ عَطفتْ الجملةَ على جُملة محذوفة تقديرُها: ولمّا خرج منَ المدينة هائمًا على وجهه، فهداه اللّهُ إلى الطَّريق الذي يؤدّي إلى أرض مَدينَ، فلمّا سلك هذا الطَّريقَ[3]، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، وهذا تقديرٌ افتراضيٌّ، يُقصَدُ منه تقريبُ المَطويِّ لا تعيينُه؛ فنَلحظ التَّرابطَ بَيْنَ الكلماتِ والمعاني، ومُناسبةَ الآياتِ بعضِها لبعض؛ لتبدوَ كنسيج واحد دقيقٍ، يُكَمِّل بعضُه بعضًا؛ وليدُلَّ على المعنى المُرادِ إيصالُه بأقربِ الطُّرق، وأبلغِ العبارات وأقصرِها.

دلالةُ التَّعبير بالماضي:

الدُّعاءُ الشَّرعيُّ هو المُقترنُ بالعملِ المُحقَّق

جاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿تَوَجَّهَ﴾ أي: لمّا جَعَلَ موسَى وجْهَهُ نَحْوَ مَدْيَنَ، ماضيًا إلَيْها، شاخِصًا عَنْ مَدينَةِ فِرْعَوْنَ، وخارجًا عَنْ سُلْطانِه[4]، قال: ربِّ اهدني إلى سواء السَّبيل، وأرشدني

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 97.
(2) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 578، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 388، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 388.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 20/ 97.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 202.

إلى الطّريق القويم، ونجّني من هؤلاء الظَّلمة[1]، وفي التَّعبير بالماضي دلالةٌ على أنَّ الدُّعاءَ يجبُ أن يقترنَ بالعملِ المُحقَّق، لا بالمُتَوقّع.

دلالةُ تقييدِ الفعل بالظّرف:

المُتوكّلُ يتَّجهُ نحوَ المطلوبِ ولو لم يتحقَّق منَ التَّفاصيل الموصِلة

لفظُ ﴿تِلْقَآءَ﴾ على وزن (تِفعالٌ) من لقيتُ، وهو مصدرٌ اتُّسِعَ فيه؛ فاستُعمل ظرفًا، يُقال: جلس تِلقاءَه، أي: حِذاءَهُ ومُقابَلَتَه[2]؛ فهو بمعنى: اللِّقاء والمُقاربة، وشاع إطلاقُ هذا المصدر على جهته، فصار من ظروف المكان التي تُنصَبُ على الظَّرفيَّة، والتَّقديرُ: (لمّا توجَّهَ جِهةَ تلاقي مَدْيَن)، أي: جهةَ تلاقي بلادِ مدين[3]، وقد احتَجَّ من قال: إنَّه خرج وما قصد مَدين بقوله: ﴿تِلْقَآءَ﴾، ولو كان قاصدًا الذَّهابَ إلى مدينَ لقال: (ولمّا توجه إلى مدين)؛ فلمّا لم يقل ذلك، بل قال: ﴿تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾، علمنا أنَّه لم يتوجَّه إلّا إلى ذلك الجانب، من غير أن يَعْلَم أنَّ ذلك الجانبَ إلى أين ينتهي؛ ويدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ بعد ذلك، وهذا كلامُ شاكٍّ لا عالم، والأقربُ أن يُقال: إنّه قصد الذَّهابَ إلى مدينَ، وما كان عالمًا بالطَّريق[4]، فهو مُريدٌ لمَدينَ، غيرُ عالمٍ بالطَّريق.

علَّةُ فصلِ جملة الجواب:

عند بَدءِ العمل يَحسُن الالتجاءُ ويَجْمُلُ الدُّعاء

فُصِلَت جملةُ: ﴿قَالَ عَسَىٰ﴾ عمّا قبلَها، والمقتَضي للفصل شِبهُ كمالِ الاتّصال، فهُنا سؤالٌ ينبثق منَ الجملة السّابقة: (ماذا قال موسى عندما توجَّه إلى مدين؟)؛ فتأتي هذه الجملة جوابًا لذلك.

فائدةُ استعمالِ أسلوبِ التَّرجّي:

ظَنُّ العبدِ بربِّه يُنجّيه من مسالكِ الضَّياع

﴿عَسَىٰ﴾ فعلٌ غيرُ مُتصَرِّف، معناه: المُقاربةُ على سبيل التَّرجّي والتَّوقُّعِ المقرونِ بالظَّنِّ الرّاجح، فموسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿قَالَ

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 49.
(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 393.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 97.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 587.

عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ رَجَى ربَّه ﷻ أن يهديَه الطَّريقَ السَّويَّ حتَّى لا يَضِلَّ فيَهْلِكَ، واستجاب الله له، فهداه الطَّريقَ حتَّى وصل إلى بلاد مدينَ[1].

نُكْتَةُ استعمالِ عنوانِ الرُّبوبيَّة:

مقامُ الإنجاءِ الموصِلِ إلى السَّبيل المقصودِ يُناسبُه عُنوانُ الرُّبوبيَّة

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ اختيارَ عنوانِ الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾ أي: الذي خلقني بقُدرته، وتولّاني برعايته وتربيته، أن يهديَني ويُرشدَني إلى أحسن الطُّرق التي تؤدّي بي إلى النَّجاة منَ القوم الظّالمين[2]، فلمّا كانت عنايةُ اللهِ به أتمَّ؛ لِما له من عظيم المُراقبة، قال: ﴿رَبِّيٓ﴾ أي: المُحْسنُ إليَّ بعظيم التَّربية في الأُمور المُهْلِكة[3]، فاختيارُ عنوانِ الرُّبوبيَّةِ هو الأنسبُ في سياق طلبِ النَّجاة، والرّعاية الموصلةِ إلى تحقيق المطلوب.

غرضُ الإضافة في قوله: ﴿رَبِّيٓ﴾:

دخولُ العبدِ في كَنَفِ ربِّه تشريفٌ ورعايةٌ وعناية

أُضيفَ لفظُ الرُّبوبيَّة إلى ياء المُتكلِّم في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ﴾؛ للتّشريف، وطلبِ الرّعايةِ والعنايةِ، فكأنَّه يقول: هو ربّي فيرعاني ويهديني؛ فإنّ دخولَ العبدِ في كَنَفِ ربِّه تشريفٌ ورعايةٌ وعناية.

دلالةُ التَّعبير بالمُضارع ﴿يَهۡدِيَنِي﴾:

الدُّعاءُ الموفَّقُ يشملُ الحالَ والاستقبالَ

آثَرَ النّظمُ التّعبيرَ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ لأنَّه ﷺ يريد الهدايةَ في الحال والاستقبال، فهو يطلبُ تَجدُّدَها واستمرارَها، وقد هداه تعالى إلى الطّريق القويمِ والصِّراطِ المُستقيم في الدُّنيا والآخرة، فجعلَه هاديًا مَهْديًّا، وألهمَه اللهُ هذه الدَّعوةَ التي في طَيِّها توفيقُه إلى الدّين الحقِّ[4].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 491، والجزائريّ، أيسر التَّفاسير: 4/ 64.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 391.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 264.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 97.

غرضُ الإضافة في ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾:

أُضيف لفظُ ﴿سَوَآءَ﴾ إلى لفظ ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ في قوله: ﴿أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، من باب إضافةِ الصّفة إلى الموصوف، والمعنى: أن يهديَني السَّبيلَ السَّويَّ الذي لا زحمةَ فيه، ولم يكن موسى يعرفُ الطَّريقَ إليها[1]، وجاء التَّركيبُ على أسلوب الإضافةِ لا الوصفيَّةِ؛ لإبرازِ أنَّ المقصود هو صفةُ السَّواءِ الموصلةِ إلى الغاية على وجه الخصوص، لا عمومِ السّبيل.

السّبيلُ الموصِلُ بأقصرِ الطُّرق هو الوسطُ غيرُ المُعوَجّ

نُكْتَةُ استعمالِ لفظِ ﴿سَوَآءَ﴾:

السَّواء: المستقيمُ النَّهجِ الذي لا التواءَ فيه، السّهلُ المُؤدّي إلى النَّجاة[2]، فسأل موسى ربَّه أن يهديَه أقْصَدَ الطّريق، بحيثُ إنَّه لا يَضِلُّ، إذ لو سلكَ ما لا يوصِلُه إلى المقصود لَتاه[3]. وفيه توجيه إلى أن يكثر العبد الرّجاءَ والالتجاءَ لربِّه أن يهديَه الصّراطَ المستقيم الذي يُؤدّي إلى النّجاة.

رجاءُ العبدِ من ربّه أن يهديَه الصّراطَ المستقيم الذي يُؤدّي إلى النّجاة

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الطَّريقُ والسَّبيلُ والصِّراطُ:

الطَّريقُ: هوَ كُلُّ ما يَطْرُقُهُ الطّارِقُ مِنَ النّاسِ؛ مُعْتادًا كانَ أَو غَيْرَ مُعْتادٍ[4]، قال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ [طه: 77].

الطَّريقُ ما يُسلَكُ والسَّبيلُ أَسْهَلُهُ والصِّراطُ أَقْوَمُهُ

وأَمّا السَّبيلُ: فهوَ الطَّريقُ السَّهْلُ؛ وأَغْلَبُ ما يَقَعُ في الخَيْرِ، وقَدْ يَقَعُ في الشَّرِّ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ [الأنعام: 55].

(1) المظهريّ، التَّفسير المظهريّ: 7/ 154.
(2) طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 10/ 391.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 296، والشّيخ علوان، الفواتح الإلّهيَّة: 2/ 79.
(4) الكَفَوِيُّ، الكُلِّيّاتُ، ص: 513.

وأَمّا الصِّراطُ: فَهوَ السَّبيلُ الذي لا اعْوِجاجَ فيهِ ولا التِواءَ.

فالفَرْقُ بَيْنَ الطَّريقِ والسَّبيلِ: أَنَّ الطَّريقَ لا يَقْتَضي السُّهولَةَ واعْتيادَ السُّلوكِ[1]، أَمّا السَّبيلُ مِنَ الطُّرُقِ فَهوَ السَّهْلُ المُعْتادُ.

والفَرْقُ بَيْنَ السَّبيلِ والصِّراطِ: أَنَّ الصِّراط لا اعْوِجاجَ فيهِ[2]، قالَ اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 161]، فالصِّراطُ أَخَصُّ مِنَ السَّبيلِ، قال تَعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 153]، والسَّبيلُ أَخَصُّ مِنَ الطَّريقِ[3]؛ وقَدْ يُطْلَقُ كُلٌّ مِنْها على الآخَرِ تَوَسُّعًا.

(1) العَسكَرِيُّ، الفُروقُ اللُّغَويّةُ، ص: 298.
(2) الكَفَويُّ، الكُلِّيّات، ص: 513.
(3) المناويُّ، التَّوقيفُ، ص: 215.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»